

الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي

ليلا قاسمي حاجي آبادي*

مهدي ممتحن**

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة جمالية التشكيل اللوني في الشعر العربي؛ فالتشكيل اللوني وسيلة من وسائل وصف النفس الإنسانية بشكل عام، ومظهر هام من مظاهر الواقعية في الصور الشعرية، وتتوضح في الألوان جملة من البنى الأسطورية، والحضارية المؤسسة لثقافات الشعوب؛ فكانت ذات دلالات جمالية جديرة بالبحث، والتنقيب؛ وبما أن لكل لغة من لغات العالم مجموعة من الألوان فأردنا أن نرصد في هذه الدراسة جانب اللون في الشعر العربي لتعرف مدى تأثير الجاهليين بالألوان عن طريق معالجة الدلالات اللونية في أشعارهم.

ففي هذا البحث ألقينا الضوء على أهمية دور الألوان لتكون أداة أساسية في الكشف عن محاور الجمال الفني في النص الأدبي، فاللون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة، ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الأدبية لما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، الدينية، النفسية، الاجتماعية، الرمزية، والأسطورية.

الكلمات الدلالية: الجمال، اللون، القرآن الكريم، الشعر، الدلالة الفنية والاجتماعية، البيئة، القيمة الفنية.

**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية في گرمسار - أستاذة مساعدة.

**. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية في جيرفت - أستاذ مشارك.

Dr.momtahen@gmail.com

تاريخ القبول: ١٠/٩/١٣٩٠ هـ. ش

تاريخ الوصول: ٤/٨/١٣٩٠ هـ. ش

www.SID.ir



المقدمة

هذه الدراسة ذات أهمية بالغة بما أننا لم نجد هناك دارساً انصرف إليها في معالجة الألوان، فما وجدنا إلا شذرات متفرقة لدلالات اللون في الشعر العربي عامة والشعر الجاهلي خاصة. فهذه الدراسة تتناول النصوص الأدبية في العصر الجاهلي من حيث استعمال الألوان لتكشف عن قيمتها الفنية، وعن الرموز الجمالية التي وقف عليها الشعراء الجاهليون.

يقوم هذا البحث على أساس المنهج الوصفي، مقرونًا بتحليل النصوص محاولاً الاستشهاد بآيات القرآن الكريم الدالة على اللون، ثم الاتيان بنماذج مختلفة من شعر الجاهليين للكشف عن القيم الجمالية للدلالات اللونية في أشعارهم.

إن اللون موضوع معقد، وهو جزء من خبرات الإنسان الإدراكية والطبيعية للعالم المرئي، واللون لا يؤثر في قدرة الإنسان على التمييز فقط، بل إنه يغير المزاج والأحاسيس، وإن الألوان من أكثر الأشياء جمالاً وخصوبة في حياة البشر؛ فيها أثرى الإنسان حياته، وأضفى عليها من بديع الجمال وبهائه ما لا يحده وادف أو يحيط به خيال.

فالألوان ليست خطوطاً أو مسحات شكلية خالية من دلالات جمالية، وتعبيرية، ورمزية، وفي بعض الأحيان تزئينية؛ بل هي صور تعبر عن موضوعات الحياة، وانفعالات الفنان بها، والتدقيق في الآثار الأدبية يرشدنا إلى أن استخدام اللون في هذه الآثار ليس صدفة، وليس لتنميق الكلام فحسب بل له ارتباط وثيق بجميع المستويات البنيوية، والبلاغية، والتعبيرية للنص الأدبي.

ولا بد لنا من الإشارة بأن النظر إلى دلالة الألوان بكونها متغيرة بتغير المؤثرات النفسية والمقاييس الذوقية يدلنا على عدم ثبات كثير من الأحكام الصادرة عن دلالتها لأن بعض الدلالات تتغير بتغير الظروف، والأزمان، وتأثير اللون قد يتغير بتغير الحالة النفسية للشخص الواحد.



العوامل المؤثرة على اختيار الألوان

لا شك أن اللون من أهم الظواهر والعناصر التي تشكل الصورة الأدبية لأن له ارتباطاً وثيقاً بجميع مجالات الحياة وظواهر الكون، وله علاقة وطيدة بالعلوم الطبيعية، وعلم النفس، والدين، والثقافة، والأدب، والفن، والأسطورة.

كل إنسان يفضل بعض الألوان ويحبه، ولا يحب البعض الآخر، وقد يرفض بعض الألوان بالطبع. اختيار الألوان، ورفضها، وقبولها يعود إلى أسباب متنوعة فيزيولوجية، ونفسية، واجتماعية، ودينية، ورمزية، وذوقية. ولكل لون معنى نفسياً يتكون نتيجة لتأثيره الفيزيولوجي على الإنسان. يقال: إن الوقت يمضي بسرعة تحت أشعة خضراء، ويمضي ببطء تحت أشعة حمراء. فاللون الأخضر هادئ، وأما اللون الأحمر فمشهور بأنه مشير ومهيج ومقلق، ويؤدي إلى الشعور بالملل. فيمكن القول بأن الحالات النفسية والعاطفية قد تسبب عن آثار الألوان على الإنسان.

هكذا العوامل الاجتماعية كالآداب، والسنن، والتقاليد، والعادات لها أثرها في اختيار وتفضيل اللون. فليس السواد لون الحداد والحزن عند كل الشعوب، كما أن البياض ليس لون الفرح والسرور عند الجميع. والبيئة الجغرافية، والإقليمية أيضاً لها أثر يذكر في اختيار اللون، لأن كل شعب يمكن أن يحب لوناً ويستثمره وفقاً لظروفه البيئية والجغرافية. فمثلاً يعيش الجاهلي اللون الأخضر لأنه يبحث عن الخصوبة، والعشب، والشجر، في الجزيرة ولا يحب اللون الأحمر حينما يرتبط بالحرب، والقحط، والحرارة، والجفاف، والظمأ.

إذن تختلف وظائف أي لون باختلاف الحضارات والمجموعات البشرية. فنرى الوظيفة الرمزية للون في الرسم الديني البيزنطي في القرون الوسطى. فالأزرق اللون الغالب على رداء العذراء الخارجي يرمز إلى النقاء، والصفاء، ولون رداؤها يدل على دعة اللون، ويلمح الأحمر إلى العاطفة البشرية والانهماك الدنيوي، ويمثل الأخضر حالة الخصب، وحالة الأمومة. فالألوان بالإضافة إلى كونها مظهراً من مظاهر الواقعية تكون حاملة إرث ثقافي حيث تتوضح في الألوان جملة من البنى الأسطورية الحضارية المؤسسة لثقافات الشعوب فلها دلالات جمالية. فالعوامل العرقية والبيئية لها أثر في

تحديد مسارات الألوان الثقافية.

فاخترنا في هذا المقال أن ندرس الجمال اللوني في الشعر بما أن الشعر هو الذى يشهد على أثر خالقه، وصوره الزمنية، والمكانية؛ فالشاعر لم يقدر على أن يبتعد عن مجتمعه، وبيئته الاجتماعية، والطبيعية؛ وهو جزء منها لأنه عاش معها. فالشعر صورة فنية موازية لحياة أصحابه وبيئتهم، وهى تختزن فى عباراتها أفكارهم، وعاداتهم، وأنسابهم، ومشاعرهم فى كل زمان.

فالشعر الجاهلى هو الذى يحكى عن بيئة الشاعر وقبيلته لأن الأرض التى يعيش فيها هو موطنه والأحداث التى تجرى فيها هى خواطر وذكريات مشاعره، ولهذا نحن عندما نسمع كلمات الشاعر التى تغنى بالبيئة نحس كل شئ عن طبيعته، ومجتمعه، ونشهد التجربة التى مر بها الشاعر ونقلها إلينا فيصوره واقعا فنيا وفكرياً بأى شكل كان. (ممتحن، ١٣٨٨ش: ٢٠٢)

ومن الشعراء من يتأثر بهذه الطبيعة، ويستلهم بها أكثر من غيره، فيتجلى فى صورته الشعرية أهم ميزات الطبيعة، منها اللون؛ فاللون من العوامل التى تلعب دوراً أساسياً فى خلق صورة جميلة. (شوندى، ١٣٨٨ش: ١٣٨)

أما أهم دلالات الألوان فى أشعار الجاهليين فهو:
اللون الأبيض

من وجهة نظر سايكولوجية واجتماعية، هذا اللون لون الطهارة والخلوص والصفاء والنقاء والمحبة والخير والحق والعدالة. والكلمة البيضاء أطلقت على الحسنه يقال: «كلمته فما ردّ على سوداء ولا بيضاء». أى كلمة قبيحة ولا حسنة، ويقال للثيم أسود الوجه، وللكريم خلاف ذلك ويقال: «أذخر درهمك الأبيض ليومك الأسود». فالأبيض عند اليونانيين دليل الفرح والسرور وهوررمز للطهارة والشرف فى معظم التقاليد لدى الشعوب وهو لون النقاوة والسلام. (إبراهيم محمود خليل، ٢٠٠٧م: ١٠٨)

كما أن بعض الآيات توضح لنا أنّ الطهارة والنقاء والإيمان والصفاء تتجسم ببيضاء فى القيامة فتصبح وجوه الصالحين والطاهرين ببيضاء لامعة: ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم



ففي رحمة الله هم فيها خالدون» (آل عمران: ١٠٧)

في هذه الآية (ابيضت وجوههم) كناية عن (صلحت أعمالهم وطهرت أرواحهم) كما أن في الآية الشريفة: «وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء» (النمل: ١٢) استخدام هذا اللون دلالة واضحة وبيان لرسالة موسى (ع) لما أعطاه الله من القدرة لإثبات نبوته.

أما في الشعر العربي فيعدّ هذا اللون من الألوان التي كثر حضوره، ويقترن كثيراً ما بجمال المرأة وجلال الرجل ورهافة السيوف والدروع في الشعر الجاهلي، وتدور في سياق الشرف والرفعة وكل معاني الخير؛ فإذا قالت العرب فلان أبيض، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب ومن ذلك قول زهير يمدح رجلاً:

أشْمُ أبيضُ فياضٌ يفكك عن أيدى العناية وعن أعناقها الرِّبْقَا
وهذا كثير في شعرهم لا يريدون به بياض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم.

ولبيد يمدح قومه بلعب القمار:

وبيضٌ على النيران في كل شتوةٍ سِراة العشاء يزجرون المسابلا
فهو يرى أن من كمال الفتوة والكرم أن يقامر المرء. (ديوان: ٢٤٩)

كما جاء الأبيض في شعر طرفة بهذا المعنى:

أما الملوك فأنت اليوم الأهممو لؤماً وأبيضهم سربال طباخ
تحبيهم بيضُ الولائدِ بينهم وأكسية الإضريج فوق المشاجب
يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب

(شيخو، ٢٠٠٥م: ٢٠٩)

وهذا ما يفهم من قول عمرو بن كلثوم في وصف نساء قومه بالعفة والشرف

والكرامة:

على آثارنا بيضٌ حسانٌ نحاذرُ أن تقسمَ أو تهونا

(الروزني، ١٩٩٧م: ١٣٢)

فتغزل الشعراء الجاهليون بالمرأة البيضاء، وهم لا يريدون البياض الخالص وإنما



البياض المشوب بصفرة كما نجد هذا المعنى عند امرئ القيس حينما يقول:

مهفهفةً بيضاءً غيرُ مفاضة ترائبها مصقولةٌ كالسججل
كبكرِ المقاناةِ البياضِ بصفرةٍ غذاها نميرُ الماءِ غيرِ محلّل

(الزوزنى، ١٩٩٧م: ٣٤)

فترى هماً جمالياً كبيراً عند امرئ القيس إلى امتلاك المرأة البيضاء. ولكن لماذا المرأة البيضاء تحديداً؟ حينما ندقق نجد تفسيراً آخر لهذا الأمر، فالمجتمع الجاهلي ولاسيما في عصر امرئ القيس كان شديد الافتقار إلى النساء البيض، وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكننا تفسير إصرار كثير من شعراء الجاهلية على جمالية البشرة البيضاء، واتخاذها من أهم المعايير الجمالية للمرأة. بل من المفيد أن نتذكر الخاصية الجمالية للون الأبيض في الثقافة العربية قديماً وحديثاً فكما قلنا سابقاً اللون الأبيض بات رمز النقاء والصفاء ورمز الطهر والسلام ورمز الجمال بشكل عام.

ومن أشعار طرفة في الغزل:

نداماي بيضٌ كالنجوم وقينة تروح إلينا بين بردٍ ومجسدٍ
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة بجسِ الندامى بضة المتجرد

(الزوزنى، ١٩٩٧م: ٥٨)

يشير إلى أنهم أحرار ولدتهم حرائر، أو وصفهم بالبياض لإشراق ألوانهم في الأندية والمقامات إذ لم يلحقهم عار يعيرون به أو وصفهم بالبياض لتقائهم من العيوب.

ومنه:

كبنات المخرِ يمأدن إذا أنبت الصيف عساليح الخضر

(شيخو، ٢٠٠٥م: ٦٩)

وعسلوج ساق نبات أبيض. فطرفة شبه النسوة بالسحائب وخصّ نبات المخر لأنها أشدّ بياضاً.

كما استعمل الشاعر الجاهلي لون البياض في وصف أعضاء المرأة فيقول امرؤ القيس في وصف ساق حبيبه بالبردى الناصع البياض:



وكشح لطيف كالجديلٍ مخصّرٍ وساقٍ كأنبوبِ السقى المذل

(الزوزني، ١٩٩٧م: ٢٣)

كما أن عمرو بن كلثوم يعدّ ذراعي حبيبه الممتلئتين بيضاءً وندياً مثل حق العاج
أبيض وساقين كأسطوانتين من عاج أو رخام أبيض فيهما الخلاخيل:

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا
وندياً مثل حق العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسينا
وساريتي بلنطٍ أو رخامٍ يرنُ خشاش حليهما رنينا

(الزوزني، ١٩٩٧م: ١٢١)

والأدماء: البيضاء والهجان الأبيض الخالص البياض فيقول عمرو بن كلثوم بأن تلك
المرأة تريك ندياً أبيض مثل العاج كما أن ساقها أبيض.

فكما يبدو من أشعارهم أنهم تفاءلوا باللون الأبيض وعدّوه رمزاً للسلام والنقاء
والبشارة، وهذا ما دفع بعضهم إلى تعميم القول فرأى أن الشاعر تفاءل بلون الناقة
الأبيض في قوله:

كتب البياض لها وبورك لونها فعيونها حتى الحواجب سود
ويقول امرؤ القيس في وصف ناقته:

بأدماء حرجوج كأن قنودها على أبلق الكشحين ليس بمغرب

(شيخو، ١٩٩٧م: ٤٠)

وكما أشرنا سابقاً الأدماء صفة للناقة البيضاء والمغرب الأبيض الوجه والأشفار.
 ويفهم من الأبيات أن الشاعر يريد وصف لونها بالبياض وأنها بسبب هذا اللون كانت
ميمونة ونرى أن الدلالة اللونية مختلفة، والشاعر حقاً متفائل باللون الأبيض، ولكنه فيما
يبدو لم يرد وصف الناقة بالبياض بل يتفاءل بهذا اللون.

كما أن العرب الجاهلي وصف الثور بلونه الأبيض فيقول امرؤ القيس:

فعاذي عداً بين ثورٍ ونعجةٍ وبين شوبٍ كالقضيمة قرهَب

(شيخو، ١٩٩٧م: ٤٢)

والقضيمة الصحيفة البيضاء شبه بها الثور لبياضه. فامرؤ القيس يصف لون البقرة بأنه أبيض ناصع. كما يصف الجاهليون الظبي الأبيض فيقول امرؤ القيس:

ولا مثل يوم في قذاران ظلته كَأني وأصحابي على قرن أعفرا

(شيخو، ١٩٩٧م: ٥٠)

والأعفر الظبي الأبيض في بياضه حمرة.

اللون الأسود

يستخدم هذا اللون للظلام، والصمت، واليأس، والخيبة، والفناء، ورمز الحزن، والهم، والموت، والإخفاق، واللون الذي يمثل الظلم، والضلالة، والغضب، والإثم، والكفر.

ورد اللون الأسود سبع مرات في القرآن الكريم بعضها تمثل الكفر والارتداد والعصيان والتكذيب. فسواد الوجه يرمز إلى سواد الروح وتلوثها تمثل وتجسّم في وجوههم:

﴿وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودةً أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾

(زمر: ٦٠)

﴿يومَ تبيضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ فأما الذين اسودّت وجوهُهُم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون﴾ (آل عمران: ١٠٦)

وقد يكتفى به عن شدة الغضب وحدة الغيظ: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ (نحل: ٥٨)

وقد وظف هذا اللون للدلالة على آثار قدرة الله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمراً مختلفاً ألوانها وغرابيب سود﴾ (فاطر: ٢٧)

فلون الأسود هو لون الحزن والحداد، كما يدل على الفرح أيضاً كما أن اللون الأبيض هو لون الحداد في الأندلس، وهو لون الحداد أيضاً عند المغاربة ومن هذا التضاد الظاهري قد تلمس تعليلاً يحل إشكالية ذلك أن من يرتدى الأسود حداداً فهو يظهر حزنه على الميت المفقود، ومن يلبس الأبيض حداداً فإنما يتفاءل له بأن يقابل ربه



بأعمال طيبة أو ينال رضا الله ومغفرته. (المرهون الصفار، ٢٠١٠م: ٢٦٥)
فاللون الأسود رمز خيبة الأمل في المجتمع الجاهلي فقد نعت العرب الجاهلي
كل شيء بغضته نفوسهم بلون الأسود فعبروا عن الحقد بأنه أسود، ووصفوا الأكباد
الحاقدة بالسوداء. قال الجاحظ: «يقولون سود الأكباد، يريدون العداوة.» (الجاحظ، ج ٣،
لاتا: ٢٦٧)

يقول الأعشى:

فما أجشمت في إتيان قوم هم الأعداء والأكبادُ سودٌ
فوصف أكبادهم بالسوداء، ليدلَّ على شدة عدائهم وبغضائهم، ويقول البعض بأن سبب
وصف الأكباد بالسواد هو اعتقادهم أن الحقد أحرق أكبادهم حتى اسودت. فنجد بأن
السواد يرتبط في بعض الأحيان بقبح المرأة والرجل، ولاسيما في نطاق الطبقة الفقيرة
وله صلة بروعة القدور في أيام القحط. فيقول عامر بن الطفيل:

وأنت لسوداء المعاصم جعدة وأقعس من نسل الإماء العوارك
فهو يحطّ من شأن أحد مهجويه في هذا البيت، ويعيره بأنه السوداء ويقول عروة بن
الورد:

أبي الخفض من يغشاك من ذى قرابة ومن كل سوداء المعاصم تعترى
(شيخو، ١٩٩٧م: ٢٢)
وسوداء المعاصم امرأة فقيرة اشتدَّ بها الجوع والهزال والبرد، فاصطلت بالنار حتى
اسودَّ معصاها.

ويأتى الليل واقتارنه بالظلمة رمزاً وتكثيفاً للون السواد ودلالاته. نجد هذا في شعر
عنترة بن شداد حين اختار الليل بما يجد من تكثيف السواد وظلمة الأمل في نفسه
ليكون زمناً لرحلة الحبيبة ورافقها له وإلا فالليل قد يكون مقمراً وجميلاً ومرتبناً
بالراحة والمتعة إلا أن عنترة اختاره وقرنه بالظلمة ليدل على شعوره باليأس من خلال
تعبير ليل مظلم:

إن كنتِ أزمعتِ الفراق فإنما زمتِ ركائبكم بليلٍ مظلم
(الزوزنى، ٢٠٠٥م: ١٣٨)

وحيثما نراجع إلى حياة امرئ القيس نجده كان في أزمة دائمة وكرب مستمر كان كذلك في حياة أبيه وظل كذلك بعد مصرعه أيضاً ونحسب أن ذاك الكرب الشامل قد تجسد بدقة ووضوح في الظلام الشامل أبياته. إنه ظلام وليس مجرد ليل، والشاعر تَوَّاق إلى انقشاع الظلمة ومتهلف إلى انجلاء الغمة. إنه يبحث عن الفرح، عن الخلاص، عن السلام وعن الضياء، وكانت المرأة بوجهها المشرق الأبيض أبهى تجسيد لذاك الضياء:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدولهُ على بأنواعِ الهمومِ لِيَتَبَلَى
ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلى بصبحٍ وما الإصباحُ منكُ بأمثلِ
(الزوزنى، ٢٠٠٥م: ٢٦ و ٢٧)

نجد بأنه قد أعطى إلى الليل لوناً أسود، ويرمز به شدة همومه وأحزانه. ولما كان الليل زمن المغادرة معادياً للشاعر فقد أعطاه الشاعر تركيزاً لونياً أكثر بواسطة مظلم، ففيه تكتيف وتعبير عن قوة الإحساس بفقد الحبيبة حيث لا شيء جميل أو مريح يحيط الشاعر بعد رحيلها.

ودلالة اللون الأسود على خيبة الأمل والخوف يجعلنا نقف عند رأى عبدالقاهر الجرجاني في تعليقه على بيت النابغة الذبياني:

فإنك كالليلِ الذي هو مُدركي وإن خلتُ أنَّ المُنتأى عنك واسعُ
(شيخو، ١٩٩٧م: ٢١٢)

بأن اللون ليس مقصوداً لذاته في كلمة الليل التي شبه بها النابغة النعمان بن المنذر، بل قصد وصف قدرة النعمان على الوصول إلى كل مكان، واختار الليل لأنه يغشى في نفسه التخوف منه ولم يشبهه بالنهار.

فحينما نتفحص أشعار الجاهليين نرى بأن هذا اللون كثيراً ما استخدم رمزاً لجمال المرأة فيصف امرؤ القيس شعر حبيبته بالسواد:



وفرع يزِينُ المتنَّ أسود فاحمٍ أثيث كقنو النخلة المتعكل
(الزوزني، ٢٠٠٥م: ٢٧)

والشاعر الجاهلي يعتبر أجمل الشفة أيضاً الشفة السوداء، كما نجد هذا المعنى عند
طرفة حينما يقول:

وفي الحي أحوى ينفضُ المردشادنُ مظاهرُ سِمطى لؤلؤ وزبرجد
وتبسمُ عن ألمى كأن منوراً تخللَ حرَّ الرملِ دعصٍ له ندى
(الزوزني، ٢٠٠٥م: ٤٦)

اللون الأحمر

اللون الأحمر لون القوة والقدرة والحياة والحركة، وأما عاطفياً فيعتبر اللون الأحمر
لون الحب الملتهب والتفاؤل والقوة والشباب.

أكثر الشعراء القدماء من استخدامهم هذا اللون نتيجة وعيهم الجمالي، ولدوره في
أصل الوجود والواقع لذلك تنوعت الألفاظ التي كثرت لتعبر عن ماهيته وقيمه ومدى
تقائه ودرجة تشعبه من ذلك قولهم أحمر، أحمر قاني واضريح، جريال، عندم، اسفع،
كميت و... كما يمثل هذا اللون: الشر والكفر والقتل والدم كما يعبر عن الفرح والسرور
ويستخدم في الأعياد.

لم يرد اللون الأحمر في القرآن الكريم بلفظ صريح إلا مرة واحدة مزروعة بين
اللونين الأبيض والأسود: ﴿ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها﴾ (فاطر: ٢٧)
فالأحمر في الآية الشريفة يبين تلون الطبيعة وتنوعها ليدل على المنة الإلهية ودعوة
الناس إلى التفكير.

فهذا اللون استخدم بغير لفظة في آية: «فكانت وردة كالدهان» فوظف «الوردة» في
هذه الصورة الفنية لتدل على لون السماء حين تنفجر أبوابها لنزول الملائكة فشبه السماء
يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالورد.

التصوير تدل على شدة العذاب تهويلاً وتخويفاً للعصاة والمذنبين لأن الحمرة تمثل
وتجسم لهيب النار.

أما الشاعر الجاهلي فيتفهم الخصائص الجمالية للألوان تفهماً دقيقاً ويحسن استثمارها في الصور الشعرية. إن اللون الأحمر يظهر على الغالب في الموضوعات ذات الصلة بالشراسة، والعنف، والمفارقات الصارخة. فعنترة يعاجل زوج إحدى الغايات بضربة ما تطاير منه دم كلون العندم في حمرته:

سبقت يداي له بعاجلٍ طعنة ورشاش نافذة كلون العندم

(الزوزني، ٢٠٠٥م: ٨٩)

ويورد بنو تغلب قوم عمرو بن كلثوم الرايات بيضاً ويصدرونهنّ حمراً:
فإننا نوردُ الراياتِ بيضاً ونصدرهنّ حمراً قدرونا
ويشير مهلهل إلى هذا المضمون أيضاً:
نرمي الرماح بأيدينا فنوردها بيضاً ونصدرها حمراً أعاليها

(شيخو، ١٩٩٧م: ٢٧٤)

فيخرج من المعركة مع قومه ورماحهم يقطنن بالدم. ويقول امرؤ القيس في وصف بنان الحبيب:

بمخضبٍ رخصٍ كأنّ بنانه عنمّ على أغصانه لم يعقد
ويقول في مكان آخر:
كأنّ ثيابنا منّا ومنهم خُضِبَ بأرجوانٍ أو طُلبنا

(الزوزني، ٢٠٠٥م: ١٢٦)

ويقول زهير في وصف لون أنماط الحبيب:

علون بأنماطٍ عتاقٍ وكلّةٍ وراذٍ حواشيها مشاكهةٍ الدم

(الزوزني، ٢٠٠٥م: ٧٦)

كما أن الجاهلي كثيراً ما وصف فرسه بلونه الأحمر فيقول امرؤ القيس:

كميتٍ يزلّ اللبد عن حالٍ متنه كما زلّت الصفواءُ بالمتنزّل

(الزوزني، ٢٠٠٥م: ٣١)

ويقول طرفة في مكان آخر:



أيها الفتیانُ فی مجلسنا جردوا منها وراداً وشُقُرُ

(شيخو، ١٩٩٧م: ٧٢)

والورد الفرس بلون الورد.

فالأحمر إذاً موضع تقاطع حاد بين الحب والحرب، وهما موضوعان كثيران يناسبهم عنصر الإثارة الكامن في اللون الأحمر، وقد لاحظ ول ديورانت الظاهرة ذاتها في تلافيف الثقافات الأخرى وانتهى إلى أن اللون الأحمر أعزّ الألوان في لعبة الحب والحرب. (أحمد محمود خليل، ١٩٩٦م: ٢٠٢)

اللون الأخضر

هذا اللون هو لون الحياة الحركة والسرور، لأنه يهدئ النفس ويسرها وهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والتفائل، وهو لون الطبيعة الحية. فيعتبر هذا اللون في الفكر الديني رمزاً للخير والإيمان، وأنه أكثر شيوعاً في الروايات العربية الإسلامية فيضفي هذا اللون بعض السكينة على النفس ويساعد الإنسان على الصبر. قد وردت لفظة الأخضر ثمانى مرّات في القرآن الكريم فاستخدمت لبيان ماهية وجمال ثياب ومجلس أهل الجنة. «ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق» (الكهف: ٣١)

كما أنها اقترنت بالنبات دلالة على جمال الكون وحيويته كمظهر من مظاهر القدرة والرحمة الإلهية المطلقة. القدرة التي تجعل الشجر الأخضر حطباً يحترق ومولداً للطاقة ليستثمره الإنسان في حياته. «الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا منه توقدون» (يس: ٢٨)

القدرة التي تخرج من التراب نباتاً أخضر: «وأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً» (الأنعام: ٦٩)

أما في الأدب العربي فنرى بأن العرب أكثر من وصف الحيوانات والنباتات باللون الأخضر، ولم يكن أحب إليهم من اللون الأخضر خاصة في الصحراء المجذبة، وبقي هذا

اللون أحبّ الألوان إليهم حتى بعد تغير بيئاتهم وانتشارهم في بيئات جديدة. إنه ربط بين الأخضر وبين نزول الماء من السماء واكتساء الأرض بالخضرة والنبات الذي فيه رزق للإنسان ومواسييه ومن ثم انبعاث الخير من هذه الخضرة وخيرات الأرض. ولع العرب بلباس اللون الأخضر واستخدموه في رياشهم. قال النابغة الذبياني:

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب

(شيخو، ١٩٩٧م: ٢٠٩)

فالأخضر في الشعر الجاهلي حيناً يظهر في تصوير الرياض والخمائل أو الملابس وحيناً آخر في وصف العيش كما يقول النابغة:

ولقد أراه بغبطة في العيش مخضراً جنابه
فخوى وما من ذى شبابٍ دائمٍ أبداً شبابه

(شيخو، ١٩٩٧م: ٢٢٤)

اللون الأزرق

يعتبر هذا اللون لون السكينة والهدوء والصدقة والتفكير؛ اللون الذي يخفف من حدة ثورة الغضب ويهدئ النفس لأنه يرتبط بالماء والسماء ويرمز إلى الصدق والخلود والإخلاص. قيل إن الأزرق الغامق يدلّ على التمييز والشعور بالمسؤولية والإيمان، واللون الأزرق الفاتح يعكس النقة والبراءة والشباب. فهذا اللون من الألوان المقدسة عند اليهود كما أن اللون الأخضر يعدّ من الألوان المقدسة عند المسلمين.

مع هذا يدلّ اللون الأزرق على الحزن والكآبة أيضاً، كما أنه ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى (لم يرد إلا مرة واحدة): ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠١)

يقول صاحب مجمع البيان بأنه يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلهاً يحشرون زرق العيون، ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العيون كعين السنور، والمعنى في هذا تشويهه الخلق. وقيل زرقاً عمياً ترى زرقاً وهي عمى وقيل عطاشاً في مظهر عيونهم كالزرقة. (طبرسي، ١٣٨٤ش: ٨٣)



والعرب كان يطلق لون الزرقة على الأعاجم كما يصف الأعشى النبيط بالزرق:
ويروى النبيط الزرق من حجراته دياراً تروى بالأتى المعمد
وقال في قصيدة أخرى يصف ساقى الخمر بأنه أزيرق دلالة على أنه أعجمي:
تنخلها من بكار القطاف أزيرق آمن إكسادها
وسبب ذلك يرجع إلى أنهم يصفون عيون الأعرباء بالزرقة.

كما أننا نجد في الشعر الجاهلي بأن هذا اللون تارة يوحي بالعنف والقسوة في مجال
الصراع حيث النصال والأسنة بزرقته المخيفة، وتارة أخرى يوحي بالطمأنينة والسكينة
في وصف المياه الصافية الساجية. كما يقول زهير بن أبي سلمى:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

(الزوزني، ٢٠٠٥م: ٧٦)

وماء أزرق ماء صافٍ، والزرق المياه الصافية، وإطلاق الزرقة على الماء لما هو
معروف من إنعكاس الألوان على المياه إذا كانت محاطة بالأشجار أو كانت السماء
صافية أو ملبدة بالغيوم، كل ذلك يعكس لونه على الماء فيبدو كأنه ميال إلى الزرقة
لشدة تكاثفه. (مرهون الصفار، ٢٠١٠م: ٣٤٢)

اللون الأصفر

ولهذا اللون علاقة بالموت والاضمحلال تارة، وبالبهجة ومجالس الخمر وجمال
المرأة تارة أخرى. فيعتبر هذا اللون من أشد الألوان فرحاً وأكثر الألوان إضاءة لأنه
منير للغاية بما أنه لون الشمس ومصدر الضوء ويمثل قمة التوهج والإشراق والنشاط
والسرور. فاستخدمه المصريون القدماء رمزاً لإلهة الشمس وللوقاية من المرض. واللون
الأصفر هو اللون الملكي، وكان شعار بوذا ورجال الدين، وهو شعار الربيع عند قدماء
الألمان، وهو لون مقدس في الصين والهند وعند أوروبا المسيحية.

كما أن للون الأصفر دلالة أخرى تناقض الأولى وهي دلالة على الحزن والههم
والذبول والكسل والموت والفناء، ربما الدلالة هذه ترتبط بالخريف وموت الطبيعة

والصحارى الجافة وصفرة وجوه المرضى. وورد هذا اللون في القرآن الكريم خمس مرات منها: «قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين» (البقرة: ٦٩) قال الطبرسي: وجملة «تسرُّ الناظرين» يبين دلالة هذا اللون المبهجة في الطبيعة فتسر الناظرين أى تعجبهم وتفرحهم بحسنها، وروى عن الصادق (ع) أنه قال: من لبس نعلًا صفراء لم يزل مسروراً حتى يبليها.

فوصف هذه البقرة باللون الأصفر تحديد لماهية لونها والدلالة على جمال هذا اللون وتأثيره النفسى على الإنسان.

فى الآيات الأربعة الباقية المذكور فيها هذا اللون، لانجد دلالة إلا ما يدل على المرض والموت والفناء: «اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً» (حديد: ٢٠)

إذن فى الآية صورة تمثيلية لنهاية الحياة وفناء لذائذها. شبهت ملاهى الحياة ولذائذها باخضرار الأرض وخصوبتها بعد نزول أمطار غزيرة فلم تلبث الأرض أن تجف وتصير قاحلة ويتحطم زرعها اليابس. فالاصفرار فى هذه الآية يدل على ذبول الموت والاضمحلال فى كل الصورة ويقصد هداية الناس وتوجيههم نحو السعادة.

كما رأينا للون الأصفر دلالات متعددة لارتباطه بتداعيات مختلفة: قد يوحى بالخير والتفاؤل حين تذكر الشمس والذهب وبعض الثمار وقد ترتبط الصفرة بالمرض والنبات الذابل وغير ذلك مما ذكرنا.

وقد اختلفوا فى تبيان تأثير اللون الأصفر على النفوس، فقد عدّه البعض لوناً بارداً وهذا يعنى أنه يوحى بالبرودة، وعدّه آخرون لوناً دافئاً يذكر بالشمس فهذا اللون ليس دلالة واحدة ولا إحياءات ثابتة أما فى الشعر الجاهلى فقد وردت بكثرة الصفرة. ووردت الصفرة المشوبة بالحمرة سمة جمالية عند العرب فى الجاهلية والعرب تدعى لئسائها الصفرة. يقول الأعشى:



تلك خيلي فيها وتلك ركابي
هَنَّ صفراً أولادها كركازيب
وشبه علقمة المرأة بالزعفران:

يحملن أترجةً نضج العبير بها
كأن تطيبها في الأنف مشموم

(شيخو، ١٩٩٧م: ١٧٥)

أراد المرأة المطلية بالزعفران حتى اصفر لونها وطابت رائحتها فاشبهت تلك
الليمونة.

ووصف الأعشى في شعره القينة التي تعزف لهم بأنها تلبس ثوباً خفيفاً معطراً بالمسك
ملطخاً بالزعفران:

وقد أقطع اليوم الطويل بفتية
مساميح تسقى والخباء مروق
وراعة بالمسك صفراء عندنا
بجسّ الندامي في يد الورع مفتق

(شيخو، ١٩٩٧م: ٢٤٢)

ووصف الخيول بأنها صفراء اللون:

تلك خيلي منه وتلك ركابي
هَنَّ صفر أولادها كركازيب

النتيجة

استخدام الألوان في أشعار الجاهليين ليس صدفة بل له ارتباط وثيق ببيئته ونفسيته
ولكل لون طابعه الجمالي الذي يستمد من البنائية التي ينتمي إليها. والألوان الرئيسة
على اللوحات الجمالية في الشعر الجاهلي هي: الأبيض، والأسود، والأحمر، والأصفر،
والأزرق.

فالشاعر الجاهلي كثيراً ما استخدم اللون الأبيض في أشعاره وبعده رمزاً للجمال كما
أنه يعشق اللون الأخضر لأنه يعيش في قفار مجدبة ويبحث دائماً عن العشب والكلأ.
ويكره العرب الجاهلي اللون الأسود ووصف كل شيء مكروه عنده بهذا اللون، ويدل
الأسود على الخوف والحزن والخيبة عند العرب الجاهلي، والأحمر عند الجاهليين لون
الحب والحرب فاستخدموا هذا اللون لوصف بنان الحبيب وأنامله كما نجد هذا اللون في

وصف الفرس عند الجاهليين. كما أن الجاهلي يعشق الأخضر بما أنه يعيش في القفار ودائماً يطوى الصحراء في طلب الكلاً والعشب. فحينما ندقق في استخدام هذه الألوان في الشعر العربي نجد بأن هذه الألوان قد تتكرر لدى الشعراء ومرد ذلك إلى البيئة المحدودة التي تتكرر فيها المشاهد وتتشابه فيها الصور وهذه الصور وإن كانت متشابهة في إطارها العام لكن لكل صورة معالجة معينة وتفصيلات خاصة بها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الجبوري، يحيى. ٢٠٠١م. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الزوزني، ٢٠٠٥م. شرح المعالقات السبع. بيروت: دار صادر.
- شوندي، حسن. ١٣٨٨ش. الحركة في الصورة الشعرية. فصلية التراث الأدبي. السنة الأولى. العدد الثالث. جامعة آزاد الإسلامية جيرفت. ١٣٧-١٤٩.
- شيخو، الأب. ١٩٩٧م. المجاني الحديثة. بيروت: دار المشرق.
- طبرسي، فضل بن حسن. ١٣٨٤ش. مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان. إيران: دار الأسوة للطباعة والنشر.
- متحن، مهدي. ١٣٨٨ش. الأدب الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية. فصلية التراث الأدبي. السنة الأولى. العدد الثالث. جامعة آزاد الإسلامية جيرفت. ٢٠٧-٢١٦.
- محمود خليل، إبراهيم. ٢٠٠٧م. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك. بيروت: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- محمود خليل، أحمد. ١٩٩٦م. في النقد الجمالي رؤيته في الشعر الجاهلي. بيروت: دارالفكر المعاصر.
- مرهون الصفار، ابتسام. ٢٠١٠م. جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم. أردن: عالم الكتب الحديث.

AlQuran alkarim

Aljabori, Yahya, 2007: pre Islamic poem, Features and Techniques, Beyroot, al resalah establishment., ed. ninth

Al zozani, 2005, Explanation of seven moallaghat, Beyroot, Dar alsadr

Sheikhoo, alab, 1997, Almajani-al hadisah, Beyroot, dar almashreg, ed. forth



Tabarsi, fazl-inb hasan, 2005, majmaoal bayan, in quran interpretation, iran, dar-alosveh for printing and publication.

Mahmoud khalih, ibraham, 2007, new literary critieism from emitation untill separation, beyrot, dar al-masirah for publieation and distribution and printing. ed, second.

Mahmoud Khalil, ahmad, 1996: In aestheticf criticism looking at pre-islamic poem. beyroot, dar Al-fekr al-moaser.

Marhoon Al-safar, ebtasam, 2010, beaty of colour structure in Al-quran, Al-karim, ordon, the new world of the books.

Journal lists

Shavandi, hasan, 2009, article"dy namism in the poetic image", Quarterly culture literary. vol.1No.3 summer 2009, first year. Islamic azad university, jiroft branch, (137-149)

Momtahen, Mehdi, 2009, literature of darkness era and natural and social invitonment Quarterly culture literary.vol.1No.3 summer 2009, first year Islamic azad university, jiroft branch, (201-216)

